التغلغل الناعم: إفريقيا في الاستراتيجية التركية.. المحدّدات والسياقات والتحدّيات

أ. مصطفى شفيق علام
باحث متخصص في العلاقات الدولية – مصر

جاءت جولة الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، الإفريقية الأخيرة، إلى: (أوغندا، وكينيا، والصومال) في شرق إفريقيا، في يونيو ٢٠١٦م، وقبل زيارته لأربع دول إفريقية جنوب الساحل والصحراء، هي: (كوت ديفوار، وغانا، ونيجيريا، وغينيا)، خلال فبراير ومارس الماضيَين، جاءت استمراراً وتأكيداً للاستراتيجية التركية الجديدة نحو القارة السمراء.

بدأت تركيا استراتيجيتها الجديدة نحو القارة السمراء قبل نحو عقدَيْن من الزمان، وتحديداً منذ العام ١٩٩٨م، ومرّت بعدّة مراحل مهمّة، توّجتها رؤية صانع القرار في أنقرة؛ باعتبار إفريقيا عمقاً استراتيجيّاً للدولة التركية المحورية «المركزية»، بعد عقودٍ من رؤية تركيا «الكمالية» لنفسها بوصفها دولة «طرفية»، تدور في الفلك الأمريكي الأوروبي، في سياق حرص النخبة التركية- ما بعد انهيار الخلافة العثمانية- على علمنة الدولة، والنأي بها عن تاريخها العثماني، وخبرتها الإمبراطورية ذات الخلفية الإسلامية.

وإذا كانت جولات أردوغان الإفريقية الدؤوبة خلال العام ٢٠١٦م؛ قد جاءت بهدف تعميق «الشراكة الاستراتيجية» مع إفريقيا لتطوير العلاقات مع الدول الأعضاء في الجماعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا (ECOWAS)؛ فإنّ أردوغان قد قام قبل عام بزيارة إفريقية أخرى ذات مغزى عميق، شملت كلاً من: (إثيوبيا، وجيبوتي، والصومال)، في سياق استراتيجيةٍ ممنهجةٍ لتوسيع النفوذ التركي في إفريقيا بما يتجاوز ثنائية الاستثمار والعطاء، بنكهتها الإسلامية المحببة للأفارقة، التي ربما عنونت فتراتٍ عدّة من مراحل الانفتاح التركيّ «الناعم» على العواصم الإفريقية، وصولاً إلى الانتقال بذلك الانفتاح إلى مرحلة «التغلغل الخشن» في إفريقيا، بالتوزاي مع إعلان أنقرة مطلع العام ٢٠١٦م عن اتفاقيةٍ جديدةٍ مع الصومال لإقامة قاعدةٍ عسكريةٍ كبيرة، تضع قدماً للجيش التركي في خليج عدن الاستراتيجي، لتنضم أنقرة إلى عواصم كبرى لها قواعد عسكرية في منطقة القرن الإفريقي، وبخاصة جيبوتي.

وتهدف هذه الورقة البحثية إلى إلقاء الضوء على العلاقات (التركية – الإفريقية)، في سياق الإلمام برؤية تركيا للدائرة الإفريقية في سياستها الخارجية بشكلٍ كلّي، وتحليل المحددات الاستراتيجية للنفوذ التركي داخل القارة السمراء، ومن ثمّ توصيف الواقع الراهن لتلك العلاقات وتحليله بكلّ أبعاده المحورية.

الدائرة الإفريقية في الاستراتيجية التركية.. الرؤية والأهداف:

يمكن النظر إلى الانخراط التركي المتزايد في القارة الإفريقية بوصفه جزءاً من رؤية أنقرة الجديدة لنفسها بأنها دولةٌ مركزيةٌ وفاعلٌ دوليٌّ ذو سياسة خارجية معقدة ومتشابكة الأبعاد، في إطار نظرية العمق الاستراتيجي Strategic Depth التي تعدّ المحرِّك الأبرز للسياسة التركية منذ العام ٢٠٠٢م، والتي تقوم فلسفتها الرئيسة على أنّ تركيا دولة متعددّة الأحواض القارية؛ ما يمنحها عمقاً استراتيجيّاً في القارة الإفريقية، بالتوزاي مع إمكانياتٍ واعدة للتأثير في كلٍّ من قارتَي أوروبا وآسيا، ومن ثمّ فإنّ تركيا، وفقاً لهذا الاقتراب، دولة «أفروأوروآسيوية»، فهي دولة أوروبية آسيوية بحكم الجغرافية، لكنها قريبة من إفريقيا بحكم التاريخ والجيوبولوتيك، عبر بوابة شرق المتوسط التي تمنحها إطلالة متميّزة على شواطئ إفريقيا الشمالية مدخل القارة السمراء[1].

وفي هذا السياق؛ تبدو القارة الإفريقية ذات أهمية خاصّة للاستراتيجية التركية الجديدة؛ فهي تضمّ أربعاً وخمسين دولة، يزيد عدد سكانها عن مليار نسمة، وتعدّ ثاني أكبر قارة من حيث المساحة وعدد السكان، وهي قارة بِكر بما تمتلكه من موارد وثروات طبيعية وبشرية،

(١) أحمد داوود أوغلو: العمق الاستراتيجي.. موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، الدار العربية للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات، ط٢، ٢٠١١م، ص ص (٢٣٢ – ٢٣٤).

كما أنها القارة الأكثر شـــباباً؛ حيث إنّ ٧٠٪ من سكّانها يندرجون تحت سنّ الخامسة والعشرين، بما يمثّله هذا الأمر من عاملٍ حاسمٍ فيما يتعلق بقوّة العمل والأسواق.

وعلى صعيد النموّ؛ يبدو الاقتصاد الإفريقي واعـــداً، حيث جاءت عشـــر دول إفريقية ضمن لائحـــة الدول الـ ٦٤ الأســـرع نمـــوّاً في العالم خـــلال العـــام ٢٠١٣م - ٢٠١٤م، بمعدلات نموٍّ تتجاوز الـ٦٪ ســـنويّاً، ما جعلهـــا محطاً لأنظار المســـتثمرين الأجانب، وفي هذا الإطار نجحت القارة الإفريقية في جـــذب ٥٥ مليار دولار من جملة ١,٢٦ تريليون دولار من قيمة الاســـتثمار الأجنبي المباشر خلال العام ٢٠١٤م[١].

وثمّة أربعة دوافع استراتيجية رئيسة، تتشكّل من خلالها مجمل رؤية الاســـتراتيجية التركية الراهنـــة وأهدافها تجاه القارة الإفريقية، تتمثل في عناويـــن: (المنطلق الحضـــاري، والمحفّز الاقتصـــادي، والعامـــل الأمني الاســـتخباري، والتنافس الدولي الإقليمي).

١ - المنطلق الحضاري:

هو الوعاء الأبرز الذي يغلّف جميع الدوافع الاستراتيجية الأخرى، بوصفه المنطلق الرئيس للسياســـة التركية الجديدة تجاه إفريقيا، حيث تعطـــي أنقرة أولوية قصـــوى لتحقيق مصالحة تاريخيـــة مـــع محيطهـــا العربي والإســـلامي والإفريقي، وإقامة شـــراكة استراتيجية مع دول تلك الدوائر الثلاث.

وإذا كانت تركيا «العلمانية»- في عهد كمال أتاتورك- قد وظّفت من قبل البعد العلمانيّ في التوجّـــه نحو أوروبا للانضواء تحت لواء الاتحاد الأوروبي، لكنها لم تنجح في ذلك، فإنّ سياســـة تركيا في ظلّ «العدالة والتنمية»، تجاه محيطها الاســـتراتيجيّ، قد وظّفت البعد الديني ليدعم سياســـة الانفتاح نحو إفريقيا؛ بوصفه وســـيلة لتحقيق المصالح القومية التركية مغلفةً بسياج جذّاب، حيث أدرك صانع القرار التركي جيداً أنَّ البعد الديني سوف يزيد من قوة أنقرة التنافسية في القارة السمراء، ويميّزها عن فاعلين آخرين لهـــم نفوذٌ كبيـــرٌ داخل القـــارة الإفريقية، مثل الصين والهند.

ومن ثمّ فقد عمـــل البعد الحضاريّ الدينيّ على مســـاعدة تركيا في بناء جســـورٍ من الثقة مع الأطـــراف الإفريقيـــة؛ لم تحققهـــا القوى الدولية الأخرى الراغبـــة في تقوية نفوذها في القارة؛ نظراً لأهمية الدين في الوجدان الشعبي الإفريقي.

وفـــي هذا الســـياق؛ يعـــدّ العـــام ٢٠٠٦م نقطـــة تحوّل جوهرية في توظيـــف تركيا للبعد الحضاري الديني، في إطار قوتها الناعمة تجاه إفريقيا، حيث اســـتضافت مؤتمر: (رجال الدين الأفارقة) في إسطنبول، والذي ضمّ ممثلين عن إحدى وعشـــرين دولة إفريقية، وقد حمل هذا المؤتمر بين طياته تطورَيْن لافتَيْن في السياسة الخارجية التركية:

أولهما: تغيّر رؤية الدولة التركية في التعامل مع الجماعات والمؤتمرات ذات التوجّه الديني، إذ أصبحت تراها وسيلةً ناجعةً لتحقيق المصالح القومية التركية بأدوات القوة الناعمة.

وثانيهمـــا: إدراك صانع القـــرار التركي أنّ استكمال سياسة الانفتاح الناجحة على إفريقيا ودعمها؛ يتطلبـــان توظيفاً اســـتراتيجيّاً للبعد الديني في علاقاتها مع دول القارة[٢].

(١) أليكسيس أكواغيرام: «صعود إفريقيا اقتصاديّاً: من المستفيد؟»، بي بي سي، ٢٩ يونيو ٢٠١٣م، متاح على الرابط: http://goo.gl/AlZwwt

(٢) Mehmet Ozkan, «Turkey's Religious and

٢ - المحفز الاقتصادي:

يأتي في مقدمة الدوافع التي تشكّل الاستراتيجية التركية الجديدة تجاه إفريقيا، ذات الموارد الاقتصادية الكبيرة والمتنوعة، والأسواق الواعدة، والفرص الاستثمارية المغرية، حيث دشنت تركيا انفتاحها الاقتصاديّ على إفريقيا منذ العام ١٩٩٨م، وتسارعت وتيرة ذلك الانفتاح مع وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة عام ٢٠٠٢م، فأطلقت تركيا «خطّة إفريقيا» عام ٢٠٠٥م، لتكون منطلقاً استراتيجيّاً للتوجّه التركيّ الاقتصاديّ نحو القارة.

وفي ٢٠٠٨م؛ احتضنت إسطنبول قمّة (تركيا – إفريقيا)، بمشاركة ٤٩ دولة إفريقية، توّجت بتعزيز تلك العلاقات بتسمية تركيا: «شريكاً استراتيجيّاً» للقارة؛ من قِبل الاتحاد الإفريقي، وأسفرت القمم (التركية – الإفريقية) عن وثيقتَيْن مهمّتَيْن، مثّلتا الإطار الأبرز للشراكة الاقتصادية بين الجانبَيْن، وهما: «إعلان إسطنبول للتعاون التركي الإفريقي: التعاون والتضامن من أجل مستقبل مشترك»، و «إطار التعاون للشراكة التركية الإفريقية»، وقد مُنحت تركيا صفة «مراقب» داخل الاتحاد الإفريقي، كما أصبحت تركيا عضواً في بنك التنمية الإفريقي منذ العام ٢٠٠٨م[١].

٣ - العامل الأمني الاستخباري:

والذي حفّز صانع القرار التركي نحو الانتقال بالشراكة الاستراتيجية مع القارة الإفريقية من الاشتباك الناعم Soft Engagement إلى الاشتباك الخشن Hard Engagement، من خلال تدشين القاعدة العسكرية التركية في الصومال على خليج عدن الاستراتيجيّ (مدخل باب المندب والبحر الأحمر)؛ لتكون أول قاعدة عسكرية تركية في القارة السمراء[٢].

ويمكن القول بأنّ الاهتمام الأمني التركي بالقارة الإفريقية ينبع من عدة اعتبارات مهمّة، بعضها يرتبط بتأمين العلاقات الاقتصادية والتجارية والاستثمارية التركية الضخمة في القارة، في حين يتعلق بعضها الآخر بالاستراتيجية الدبلوماسية التركية المرتبطة بالحصول على دعم دول القارة في المحافل الدولية، إضافة إلى بعدٍ استخباريّ لوجيستيّ داخليّ؛ يتعلق بتجفيف منابع جماعة فتح الله كولن المناوئة لأردوغان، والتي لها امتدادٌ كبيرٌ في القارة الإفريقية، وأخيراً مكافحة الجماعات المتشدّدة التابعة لتنظيم الدولة الإسلامية والقاعدة في عددٍ من أقاليم القارة، وخصوصاً بعد تعرّض السفارة التركية في الصومال لهجوم إرهابيٍّ تبنّته حركة الشباب الصومالية في العام

تركيا تنطلق في جهودها الإنسانية من بُعدٍ قِيميٍّ وديني، ومن ثمّ فإنها لا تتوقع الحصول على مقابل

(١) Chigozie ENWERE, and Mesut YILMAZ, «Turkey's Strategic Economic Relations with Africa: Trends and Challenges», Journal of Economics and Political Economy, Volume1, Issue 2, December 2014, pp 221-225.

(٢) First Turkish military base in Africa to open» in Somalia», Daily Sabah, January 19, 2016.

Socio-Political Depth in Africa», The London School of Economics and Political Science (LSE), Jun 2013, PP 48-49.

٢٠١٣م؛ حيث أدركت القيادة السياسية التركية أنها قطعت مرحلةً جيدةً من النموّ الاقتصاديّ واستقرار المناخ السياسيّ والقوة العسكرية داخليّاً، وأنها باتت بحاجة إلى آلياتٍ جديدةٍ تتعلق بالشقّ المعلوماتيّ الأمنيّ والاستخباري في محيطها الخارجي ذي البعد الاستراتيجي، وخصوصاً في قارة إفريقيا[١].

٤ - التنافس الدولي الإقليمي:

تحرص القيادة التركية على ألا يفوتها التنافس الدولي الإقليمي على التغلغل والنفوذ في القارة الإفريقية ذات الأهمية الاستراتيجية الكبرى على صعيد العلاقات الدولية، في خضم سعيٍ محموم بين قوى آسيوية ولاتينية صاعدة، مثل الصين والهند وكوريا الجنوبية والبرازيل، إضافة إلى الدول الأوروبية (المستعمر السابق لدول القارة)، والولايات المتحدة الأمريكية (ذات النفوذ التقليدي في إفريقيا)، للاستفادة من الخيرات الوفيرة في القارة، هذا إلى جانب كلٍّ من إيران وإسرائيل على الصعيد الشرق أوسطي.

ويبدو أنّ القيادة التركية قد حزمت أمرها لمنافسة الكبار على الصعيد الاستراتيجي في القارة الإفريقية، فجاء قرار تدشين القاعدة العسكرية التركية في الصومال؛ في سياق حروب القواعد العسكرية في القرن الإفريقي ذي الأهمية الاستراتيجية الكبرى، حيث تمتلك: (الولايات المتحدة، وفرنسا، واليابان، والصين) قواعد عسكرية في منطقة القرن الإفريقي، وتحديداً في جيبوتي[٢].

وفي هذا السياق؛ تسعى تركيا لتسويق تمدّدها في القارة السمراء بعيداً عن منطلقات القوى الدولية الأخرى، والتي انتقدها أردوغان، من طرفٍ خفي، خلال زيارته إلى شرق إفريقيا في يونيو ٢٠١٦م، بقوله: «إنّ تركيا تولي اهتماماً كبيراً بالقارة الإفريقية، وسياستها تجاهها لا تشبه أي سياسات أخرى، وهي على ثقةٍ أنّ النصف الثاني من القرن الحالي سيكون عصر إفريقيا الحقيقي»، محفّزاً زعماء القارة للانفتاح على تركيا بقوله: إنه «على إفريقيا أن تختار شركاءها بعناية، في مسيرة كفاحها لإثبات نفسها»[٣].

«شريك الخير»: محدّدات التغلغل التركي «الناعم» في إفريقيا:

تنطلق الشراكة التركية الإفريقية من منظورٍ تركيٍّ قِيميّ يستند على خطاب ما بعد الكولونيالية، انطلاقاً من تأكيد حرص أنقرة على تعزيز السّلم والاستقرار في إفريقيا، من خلال مساعدة الدول الإفريقية على التخلّص من تبعات الاستعمار، وترسيخ صورة الدولة التركية في العقل الجمعي الإفريقي، بأنها دولةٌ كبرى تحترم الإنسان، وتتبنى سياسات أخلاقية قِيمية، باعتبارها «شريك الخير» Benevolent Partner الذي يضطلع بالمهام الإنسانية والإغاثية، ويمدّ يد العون للأشقاء الأفارقة[٤].

---

(١) MICHAEL KAPLAN, «Turkey Helping Somalia Fight Al-Shabab? Turkish Military›s First Base In Africa Will Train African Soldiers», The International Business Times, January 19, 2016.
Why Turkey is Set to Open Military Base in" - Somalia?", Sputnik News, January 21, 2016.

(٢) Tomi Oladipo, «Why are there so many military bases in Djibouti?», BBC, 16 June 2015.

(٣) «أردوغان: على إفريقيا أن تختار شركاءها بعناية»، تركيا بوست، ٤ يونيو ٢٠١٦م، متاح على الرابط التالي: http://goo.gl/ujHBsa

(٤) Ali Bilgic and Daniela Nascimento, Turkey's new focus on Africa: causes and challenges, The Norwegian Peacebuilding Resource

انتهجت الحكومة التركية نظاماً محفّزاً لجذب الشركات التركية الكبيرة للاستثمار، وزيادة وجودها المحليّ في إفريقيا، في القطاعات الاستثمارية الرئيسة المهمّة في القارة

وفي هذا السياق؛ يأتي التصريح الكاشف، عن جوهر الاقتراب التركي القِيمي تجاه القارة الإفريقية، للرئيس التركي رجب طيب أردوغان، خلال زيارته لشرق إفريقيا العام الماضي، بقوله: «إنّ البعض جاء لإفريقيا من أجل الذهب، لكن تركيا أتت لإفريقيا لكي تضمّد الجراح»[١].

ويبدو اقتراب «شريك الخير» إطاراً ملائماً للاستراتيجية التركية الراغبة في ممارسة دَوْر مركزيٍّ قياديّ، يتسق مع رؤية صانع القرار التركي لمكانة بلاده على الصعيد الدولي.

وقد تبوأت تركيا مكانةً مرموقة في مجال المساعدات الإنسانية الدولية خلال السنوات القليلة الماضية، ففي عام ٢٠١٢م أصبحت تركيا رابع أكبر جهةٍ حكوميةٍ مانحة للمساعدات الإنسانية في العالم، وأكبر مقدّم مساعدة إنمائية غير غربيّ خارج إطار لجنة المساعدة الإنمائية (DAC) التابعة لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD).

وعلى الصعيد الإفريقي؛ فإنّ وراء الخطاب السياسي النبيل، حول المساعدات الإنسانية والتنمية الاقتصادية والمبادرات الإنمائية للقارة، توجّه لسياسة تركيا نحو إفريقيا مدفوعةً باستراتيجية طويلة الأمد في السياسة الدولية، لكي تتبوأ مكانة مركزية على صعيد العلاقات الدولية.

وفي مساعداتها الإنسانية لإفريقيا؛ تركّز تركيا بشكلٍ كبيرٍ في البنية التحتية، معتبرةً إياها إحدى العناصر القليلة في مجال المساعدات الخارجية التي يمكن أن يكون لها تأثيرٌ دائمٌ ومستدام، أما القطاعات الأساسية بالنسبة للمساعدات التركية في إفريقيا؛ فهي توجّه لقطاعات الصحة والتعليم والزراعة والمياه والصرف الصحّي[٢].

وتفضل تركيا النهج الثنائي المباشر فيما يتعلق برؤيتها التنفيذية للعمل الإنساني والمساعدات التنموية، وترى تركيا في نهجها هذا جزءاً من قيمتها المضافة بوصفها فاعلاً دوليّاً بارزاً على صعيد الشراكة الإنسانية

(١) Mehmet Solmaz, «Erdogan: We cannot remain silent on Africa», Daily Sabah, January 27, 2015.

(٢) Heba Aly, «Turkey's ambitions as a rising donor», IRIN, March 27, 2014.

Centre, Policy Brief, September 2014, P.2.

والإنمائية، وتضطلع بهـذا الدور على الصعيد الدولي هيئـة إدارة الكوارث والطوارئ، والهلال الأحمـر التركي، والـوزارات المختلفة، ووكالة التعاون والتنسـيق التركية، وتتدرج كلٌّ من وكالة التعاون والتنسـيق التركية وهيئة إدارة الكوارث والطوارئ تحت إشـراف مكتـب رئيس الوزراء مباشرة، مما يتيح لهما موارد وفيرة وخبراء على أعلى مسـتوى في كلّ الـوزارات، وهو ما يؤدّي إلى تسريع الاستجابة التركية في وقت الأزمات وتحسينها.

ومن ثمّ؛ فإنه بالمقارنة مع الولايات المتحدة وأوروبا؛ فـإنّ الفرق بين العمليات الإنسـانية التركية والبلدان الأخرى: هـو أنّ تركيا تنطلق في جهودها الإنسـانية من بُعـدٍ قِيميٍّ وديني، ومن ثـمّ فإنها لا تتوقع الحصـول على مقابل، ويمكنهـا أن تعمل بسـرعة من خـلال هيكلها الديناميكـي المرن، ولا يوجـد لدى هيئة إدارة الكوارث والطوارئ ميزانيـة ثابتة، وفي أوقات الطوارئ يمكن زيادة الميزانية وفقاً للحاجة، كما أنّ المزج بين الثقافة الإسلامية والنهج الإداري الحديث، في مجال العمل الإنسـانيّ والتنمويّ، يجعل المسـاعدات التركية مبتكـرة إلى الحدّ الذي تحظى معه بشعبيةٍ كبيرةٍ بين المستفيدين في إفريقيا، الأمر الذي كان له تأثيرٌ محفّز على تحسـين صورة تركيا في إفريقيـا، وتصويرها على أنها دولةٌ خيّرة ومسالمة، تتدخل لاعتبارات قِيمية، وتتوسـط بين الأطراف المتنازعة دون انحياز، لتحقيق مصالح الآخرين؛ وليس لتحقيق مصالحها الخاصّة[1].

وتوظّف تركيا وجودها الدبلوماسيّ في القارة الإفريقية لدعم تغلغلها الناعم؛ بوصفها شريكاً للخير في القارة، ولقد شهدت السنوات الثماني الماضية نشـاطاً تركيّاً مكثّفاً في مجال افتتاح السـفارات والبعثات الدبلوماسية في الحواضر الإفريقية، ووفقاً لـوزارة الخارجية التركية[2]؛ فقد بلغ عدد السفارات التركية في إفريقيا ٤٠ سـفارة، إضافة إلى ٤ قنصليات عامّة، حيث تمّ افتتاح ٢٧ سفارة جديدة بعد ٢٠٠٩م فقط، منها ١٩ سـفارة في دول جنوب الساحل والصحراء، بينما كان عدد سـفارات أنقرة في إفريقيا حتى عـام ٢٠٠٩م نحو ١٢ سـفارة فقط، وحتى عام ٢٠٠٢م لم يكن لتركيا إلا سـبع سـفارات فقط فـي كلّ إفريقيـا، وهذا يعكس مـدى الأولوية التي تفردها تركيـا تحت حكم العدالة والتنمية لإفريقيا، وأهميتها النوعية في الاسـتراتيجية التركية الجديدة.

وتؤدي المسـاعدات التركية دَوْراً مهمّاً في دعم العلاقات السياسية مع الدول الإفريقية، ولا تقتصر تلك المساعدات على الجانب الحكومي فحسب؛ فقد ساهمت جهود منظمات المجتمع المدنـي التركية في تنمية أواصـر التعاون مع إفريقيا، وفي هذا السـياق؛ فقد ساهمت هيئة الإغاثة الإنسانية التركية (IHH)، التي تعدّ من كبريات مؤسسـات الدعم الإنساني في البلاد، في تنفيذ خطة الانفتاح على إفريقيا التي تبنّاها حزب العدالة والتنمية منذ العام ٢٠٠٢م، وتقوم هذه المنظمة بأنشـطة تنموية فيما يقرب من ثلاث وأربعين دولة إفريقية، كما ساعدت الآلاف على استعادة القدرة على الإبصار في إطار تنفيذ برنامج «كتاركت» في المستشـفيات السودانية، كما تعمل هذه المؤسسـة علـى تنفيذ عمليات حفـر الآبار، وتقديـم الدعم الفنـي، وتطوير التعليم المهني، وبناء المستشـفيات والمدارس

(١) Ibid.

(٢) Republic of Turkey, Ministry of Foreign Affairs, official website: http://www.mfa.gov.tr/default.en.mfa#hl9

والمســـاجد ودور الأيتام ومراكز تحفيظ القرآن الكريم[١].

وقد افتتحـــت الوكالـــة التركية للتنســـيق والتعـــاون (TIKA) في عـــام ٢٠١١م مكاتب جديدة لها فـــي كلٍّ من الصومـــال وليبيا، كما افتتحـــت مكاتب أخرى في كينيا ومصر وتونس، عام ٢٠١٢م، لتنضمّ إلى فروع الوكالة في إثيوبيا، والسودان، والسنغال، وتشرف تلك المكاتب على مشـــروعات الوكالة القائمة فـــي نحو ٣٧ دولة إفريقيـــة، معظمها في مجالات التعليم والصحة والزراعـــة[٢]، وقد تضاعفت أعـــداد المدارس التركية فـــي إفريقيا، وبات لهـــا حضورٌ فاعلٌ على المستوى المجتمعي في بلدان القارة، حيث يرى سكان القارة أنّ التعليم هو السبيل الوحيد للاستقلالية والتنمية.

الأبعـاد الاقتصـادية للعلاقات التركية الإفريقية:

تبدو العلاقات الاقتصادية التركية مع القارة الإفريقية ذات أهميةٍ اســـتراتيجيةٍ قصوى لدى صانع القـــرار التركي، وقد تعمّقـــت المصالح الاقتصاديـــة التركية في إفريقيـــا منذ وصول حزب العدالة والتنميـــة التركيّ إلى الحكم عام ٢٠٠٢م، وتكرّســـت عبـــر قممٍ تركيـــةٍ إفريقية متعددة، عُقدت بإســـطنبول، وزيـــاراتٍ متعدّدة لمســـؤولين أتـــراك إلى إفريقيـــا، وقد أثمرت الاستراتيجية الاقتصادية التركية المنفتحة على إفريقيا إلى زيادة التبادل التجاريّ بين الجانبَيْن؛ من ٣ مليارات دولار فقط عام ٢٠٠٢م، إلى نحو ٢٥ مليار دولار عام ٢٠١٥م[٣].

جدول (١) الصـــادرات التركية إلى إفريقيا (٢٠٠٣م – ٢٠١٣م) بالمليار دولار أمريكي[٤]:

السنة	٢٠٠٣	٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠١٠	٢٠١١	٢٠١٢	٢٠١٣
إفريقيا	٢,١٢	٢,٩٧	٣,٦٢	٤,٥٧	٥,٩٨	٩,٠٦	١٠,١٧	٩,٣٠	١٠,٣٤	١٣,٣٦	١٤,١

وخلال عشـــر ســـنوات؛ ارتفعت الصادرات التركية إلى إفريقيـــا؛ من نحو ١,٧ مليار دولار أمريكي في عـــام ٢٠٠٢م، إلى نحو ١٤,١ مليار دولار فـــي عـــام ٢٠١٣م، بفضل زيـــادة مطرّدة تقريباً طوال العقد الماضي، وتؤشّـــر التطورات في معـــدلات التجارة الثنائية بين الجانبَيْن على وجـــود رغبة تركية لزيـــادة تبادلها التجاري مع إفريقيا إلى نحو ٥ أضعاف بحلول العام ٢٠٢٣م، ليتخطّى حجم التجـــارة بين الجانبَيْن حاجز الـ ١٠٠ مليار دولار سنويًّا[٥].

(١) IHH, Humanitarian Relief Foundation, official website: http://www.ihh.org.tr/en

(٢) TIKA, Turkish Cooperation and Coordination Agency, official website: http://www.tika.gov.tr/en

(٣) «تركيا وإفريقيا.. علاقات اقتصادية واعدة»، الجزيرة. نت، ٢٠١٦/٣/١٣م.

(٤) Source: Abdullah Emre Akel, How has «Turkey›s Africa Strategy» been Affecting Turkey›s Exports to Africa?, Conference Paper Presented at the 17th Annual Conference on Global Economic Analysis, Dakar, Senegal, 2014, p. 30.

(٥) Abdullah Emre Akel, How has «Turkey›s Africa Strategy» been Affecting Turkey›s Exports to Africa?, Conference Paper Presented at the 17th Annual Conference on Global Economic Analysis, Dakar, Senegal, 2014, p 11.

شـــكل (١) تطور التبادل التجاري بين تركيا وإفريقيا (٢٠٠٢م – ٢٠١٣م) بالمليار دولار[١]:

شـــكل (٢) حصة إفريقيا مـــن الصادرات والواردات التركية (٢٠٠٢م – ٢٠١٣م)[٣]:

وخـــلال العقـــد المنصرم؛ ارتفـــع نصيب إفريقيا من مجموع الصـــادرات التركية، ليأخذ اتجاهاً متزايداً في السنوات الأخيرة، ففي حين مثّلت الصادرات التركية لإفريقيا نحو ٤,٧٪ من إجمالي واردات القـــارة في عام ٢٠٠٢م؛ قفزت تلك النســـبة إلى الضعف تقريباً لتصل إلى نحو ٩,٣٪ فى عام ٢٠١٣م، في حين بلغت تلك النسبة ذروتها في عام ٢٠٠٩م، حيث وصلت إلى ٩,٩٪، وعلى العكـــس من ذلك؛ فإنّ نصيب إفريقيا من واردات تركيا اتخذ معدلاً ثابتاً تقريباً يدور حول ٢,٥٪ منذ عام ٢٠٠٢م، الأمر الذي يؤشّـــر إلى أهمية إفريقيا المتزايدة بوصفها ســـوقاً واعدة للمنتجات التركية، كما يؤشّر إلى أنّ طلب تركيا على المـــوارد الإفريقية يكاد يكـــون ثابتاً، بما يعزّز من مصداقية خطـــاب تركيا المنفتح على القارة الإفريقية بوصفها شريكاً للخير ليست له مطامع خاصّة[٢].

وتتمحـــور الصـــادرات التركيـــة إلى الدول الإفريقية جنوبَي الصحراء في السلع المصنعة، ومنتجات الحديد والصلب، والمنتجات الغذائية والاستهلاكية، والمنســـوجات، والأسمنت، فيما تتمحـــور مجمل الواردات التركيـــة من إفريقيا في المـــواد الخـــام والمنتجـــات الأولية، مثل: القطن، والأحجـــار الكريمة، والمعادن، والفحم، والأخشاب، والجلود، والبذور، والقليل من النفط الخام[٤].

وفي هذا الســـياق؛ تبدو العلاقات التجارية التركيـــة مـــع دول إفريقيـــا جنـــوب الصحراء متواضعة بالمقارنة مع دول شمال إفريقيا، ومن ثمّ؛ فإنّ أنقرة تســـعى لتعظيم التبادل التجاريّ مـــع دول تلك المنطقة خلال الســـنوات القليلة القادمة.

(١) Source: Abdullah Emre Akel, How has «Turkey»s Africa Strategy» been Affecting Turkey»s Exports to Africa?, Conference Paper Presented at the 17th Annual Conference on Global Economic Analysis, Dakar, Senegal, 2014, p 11.

(٢) Ibid.

(٣) Source: Abdullah Emre Akel, How has «Turkey»s Africa Strategy» been Affecting Turkey»s Exports to Africa?, Conference Paper Presented at the 17th Annual Conference on Global Economic Analysis, Dakar, Senegal, 2014, p 11.

(٤) David Shinn, Turkey's Engagement in Sub-Saharan Africa Shifting Alliances and Strategic Diversification, Research Paper, Chatham House, UK, September 2015, p 10.

جـــدول (٢) أكبر ٥ شـــركاء تجاريين لتركيا في دول إفريقيـــا جنوب الصحـــراء (بالمليون دولار)[١]:

الدولة	٢٠٠٦م			٢٠١٢م		
	الصادرات	الواردات	المجموع	الصادرات	الواردات	المجموع
جنوب إفريقيا	٥٩٨	١٧٩٣	٢٣٩١	٣٨٢	١٢٩٠	١٦٧٢
نيجيريا	٨٣	٣٨٠	٤٦٣	٤٣٩	١١٣	٥٥٢
غانا	٣٣	٥٧	٩٠	٢٢٤	٣٠٣	٥٢٧
إثيوبيا	٩٢	٢٤	١١٦	٣٩٥	٤٧	٤٤٢
السودان	٢١٧	٨	٢٢٥	٢٨٠	١١	٢٩١

وعلـــى الصعيـــد الاســـتثماريّ؛ وصلـــت الاستثمارات التركية المباشرة في إفريقيا، وفقاً لتقديـــرات العام ٢٠١٥م، إلى نحـــو ٦ مليارات دولار، منها: ٢,٥ مليار في إثيوبيا، و ٥٠٠ مليون دولار في جنوب إفريقيا، و ١٦٠ مليون دولار في السودان، و ٦٠ مليون دولار في نيجيريا[٢].

وقد انتهجت الحكومة التركية نظاماً محفّزاً لجذب الشـــركات التركية الكبيرة للاســـتثمار، وزيادة وجودها المحليّ في إفريقيا، وخصوصاً في بعـــض القطاعات الاســـتثمارية الرئيســـة المهمّـــة في القارة، مثـــل: التعدين والمصارف والاتصالات، كما تسعى تركيا إلى تعظيم نشاط شركاتها العاملة في مجال الطاقة المتنامي في دول إفريقيا جنوبَي الصحراء، حيث نجحت أنقرة في السنوات الأخيرة في إبرام اتفاقيات للتعاون في مجـــال الطاقة مع دولٍ مثـــل: (الكاميرون،

(١) Source: International Monetary Fund, Direction of Trade Statistics Yearbook, 2013.

(٢) «حجم الاستثمارات التركية في إفريقيا يبلغ ٦ مليارات دولار»، هيئة الإذاعة والتليفزيون التركية TRT العربية، ٢٥ مارس ٢٠١٦م.

وكينيا، والنيجر، والسودان، وأنجولا)، كما تسعى تركيا إلى إبرام اتفاقيات مماثلة مع كلٍّ من: (نيجيريا، وجنوب إفريقيا، وبوتسوانا، والجابون، والصومال، وغينيا الاستوائية، وأوغندا، وتنزانيا، وموريتانيا، وغانا، وناميبيا، وموزمبيق، وزامبيا)[1].

المنافسون والمستهدفون والمناوئون: تحديات التوجّه التركي نحو إفريقيا:

الحقيقة التي لا مراء فيها أنّ التوجّه التركيّ نحو إفريقيا ليس مفروشاً بالورود، لكنه توجّه مستبطن بتحديات متعدّدة وعراقيل شتى.

وثمّة ثلاث فئات رئيسة من التحديات، قد تلقي بظلالها السلبية على الانفتاح التركي نحو القارة السمراء، تتلخص في عناوين: (تحدي المنافسين، وتحدي المستهدفين، وتحدي المناوئين).

ويقصد بالطائفة الأولى: القوى الدولية والإقليمية ذات الحضور في القارة الإفريقية، سواء على الصعيد الاقتصادي والسياسي، أو على الصعيد العسكري والأمني.

الطائفة الثانية: الدول الإفريقية نفسها، من حيث تعاطيها الراهن والمستقبلي مع الشريك التركي.

الطائفة الثالثة: الجماعات المناوئة للدولة التركية، سواء الداخلية منها؛ وهي جماعة فتح الله كولن، ذات الحضور المؤثر في القارة الإفريقية، أو الجماعات الإرهابية التي قد ترى في الوجود التركي داخل إفريقيا، ولا سيما العسكري منه، مهدّداً لمجالها الحيوي في القارة.

١ - على صعيد تحدي المنافسين:

قد يكون التنافس بين القوى الدولية ذات المصالح الاستراتيجية في إفريقيا عائقاً أمام التمدّد التركيّ بشقّيه، الناعم والخشن، في إفريقيا، وإذا كان صانع القرار التركي يرى أنه لا يزال هناك مكان لتركيا لتحقيق مشاريعها في إفريقيا، خصوصاً أنّ نموذجها التنموي، ومستوى تطورها الصناعي، ملائمٌ بشكلٍ كبيرٍ للتطور الاقتصادي للدول الإفريقية، لكن الحضور العسكري الأوروبي والآسيوي وتداخله في مناطق الصراع الإفريقية من شأنه تعقيد الأمور أمام الطموحات التركية بشكلٍ كبير، وفي هذا السياق؛ قد فسّر بعض المحللين التفجير الذي استهدف البعثة التركية في الصومال بأنه: رسالة من أطراف خارجية لا تحبّذ الوجود التركي في منطقة القرن الإفريقي[2].

٢ - على صعيد تحدي المستهدفين:

ثمّة مخاوف مستقبلية من عدم استجابة الحكومات الإفريقية لمحاولات الجانب التركي بتعظيم حضوره في إفريقيا بالشكل المرغوب تركيّاً، سواء لاعتبارات تتعلق بضغوط الشركاء الأوروبيين والآسيويين النافذين في القارة، أو لاعتبارات تتعلق بتناقضات النخب الإفريقية الحاكمة ذات الخلفيات غير الديمقراطية، خصوصاً في البؤر الصراعية بالقارة، أو لاعتبارات بيروقراطية تتعلق بعدم معرفة رجال الأعمال الأفارقة بالسوق التركي، وضعف مشاركة الدول الإفريقية في المعارض التركية، وضعف البنية القانونية الخاصّة بالاستثمار في إفريقيا، وعدم الجدية لدى بعض المؤسسات

(١) Turkey plans to invest in Africa's energy» industry», Daily Sabah, 18 August 2014.

(٢) محمود سمير الرنتيسي: «الدور التركي في شرق إفريقيا: الدوافع والمكاسب»، مركز الجزيرة للدراسات، ١٥ مارس ٢٠١٥م، متاح على الرابط: http://goo.gl/7bGXS4

الإفريقيـــة، وأخيراً ضعـــف إمكانيات المكاتب التجاريـــة الإفريقية في أنقرة؛ مقارنةً بالمكاتب التركية العاملة في إفريقيا[1].

٣ - على صعيد تحدي المناوئين:

إنّ وجـــود نفوذٍ رســـميٍّ ومجتمعيٍّ لجماعة فتح الله كولن، المعارضة للرئيس التركي رجب طيب أردوغان في بعض الدول الإفريقية، يمكن أن يلقي بظلالٍ ســـلبيةٍ على العلاقات بين أنقرة وتلك الدول الإفريقية التي تنشط فيها مؤسسات هذه الجماعة[2].

وعلى صعيدٍ آخر؛ فإنّ ثمة تهديدات متنامية من قِبل التنظيمات الإرهابية التي تتبع القاعدة وتنظيم الدولة الإســـلامية فـــي إفريقيا، فكريّاً أو تنظيميّـــاً، والتي ترفـــض الوجود التركي في القـــارة الإفريقية، حيث تبقى هـــذه التهديدات مرشّـــحة لمزيدٍ من التصاعـــد، خصوصاً في ظلّ العداء الســـافر الراهن بيـــن تركيا وتنظيم الدولة الإسلامية على الساحة الشرق أوسطية، وخصوصاً في كلٍّ من سوريا والعراق.

الخاتمة:

كلّ هـــذه التحديـــات ربما لن تقـــف عائقاً أمام الطمـــوح التركـــي نحو اســـتعادة أمجاد الإمبراطورية العثمانيـــة، ذات البعد الحضاري الرســـالي، خصوصـــاً أنّ النخبـــة الحاكمة في أنقرة، ممـــن يوصفون في الدوائـــر الغربية بـ «العثمانييـــن الجـــدد» Neo-Ottoman، قد حقّقوا نجاحات كبيرة على الصعيد الداخليّ في

الانخراط التركي المتزايد في القارة الإفريقية جزء من رؤية أنقرة الجديدة لنفسها بأنها دولةٌ مركزيةٌ وفاعلٌ دوليٌّ ذو سياسة خارجية متشابكة الأبعاد

تركيا، ويتحركون خارجيّـــاً بكفاءة وفاعلية نحو بناء تركيا الدولة المركزية الجديدة.

ومن ثمّ؛ فإنّ تلك التحديات ربما ســـتحفّز صانع القـــرار التركي لاتخاذ اســـتراتيجيات، دفاعيـــة وهجوميـــة مبتكـــرة، للحفـــاظ على المكاســـب التـــي تحقّقـــت خـــلال العقدَيْن الماضيين فـــي العلاقات التركيـــة الإفريقية، والبنـــاء على تلك المكاســـب لتحقيـــق وإنجاز المزيد من تلك النجاحات التي تؤسّـــس لتركيا الـــدَوْر والمكانة والنفوذ فـــي نظام عالميٍّ بات مفتوحاً علـــى كلّ الاحتمالات، في ظلّ مناخ من الصراع التنافسيّ المحموم بين وحداته الدولية الكبرى والمتوسطة، بل الصغرى كذلك ■

(١) معمر فيصل خولي: «السياسة الخارجية التركية تجاه إفريقيا»، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ٢٣ فبراير ٢٠١٥م، متاح على الرابط: http://goo.gl/chnZrZ

(٢) محمود سمير الرنتيسي: «الدور التركي بشرق إفريقيا في ظل التنافس الإقليمي»، الجزيرة. نت، ٢٧ يناير ٢٠١٥م، متاح على الرابط: http://goo.gl/sHltQF